الارتفاع الروحي للصليب

القديس ثيوفانس الحبيس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لقد حلّ عيد رفع صليب الرب. لقد نُصِب الصليب في مكان مرتفع ليراه الناس ويكرّموه. فالآن يُرفع الصليب في الكنائس والأديرة. لكن هذا كله خارجي. هناك تمجيد روحي للصليب في القلب. وذلك عندما يعقد الإنسان العزم على صلب نفسه، أو إماتة أهوائه – وهو أمر أساسي جداً عند المسيحيين، لدرجةٍ أنهم فقط للمسيح الذي لأجله صلبوا جسدهم مع أهوائه وشهواته، بحسب الرسول (أنظر غلاطية ٢٤:٥). وبعد أن رفع المسيحيون هذا الصليب في أنفسهم، ظلّوا يمجدونه طوال حياتهم. فليسأل كل إنسان مسيحي نفسه هل هذا هو الحال، وليستمع إلى الجواب الذي يقدمه له ضميره في قلبه. آه، عسانا لا نسمع: "إنكم فقط تُرضون أجسادكم بالأهواء؛ صليبكم ليس مرفوعاً، بل مرمي في جب الأهواء، ويتعفن هناك من جراء الإهمال والازدراء!"

عندما أُنزل الرب عن الصليب، بقي الصليب على الجلجثة، ثم تم إلقاؤه في الحفرة التي كانت في ذلك المكان، حيث تُلقى عادةً أداة الإعدام هذه مع النفايات الأخرى. بعد ذلك بوقت قليل دُمِّرَت أورشليم وسويت جميع صروحها بالأرض. كما امتلأت الحفرة التي حوَت صليب المسيح. ولما أعاد الوثنيون بناء المدينة (إذ كان اليهود ممنوعين من الاقتراب من المكان الذي كانت فيه)، حدث أنهم وضعوا في المكان الذي كان فيه صليب المسيح صنماً لفينوس، الإلهة الوثنية للزنا وكافة أنواع الشهوات. هذا ما اقترحه عليهم العدو [الشيطان].

هذا هو الحال مع صليبنا الداخلي. عندما يدمّر العدو النظام الروحي في النفس، أورشليمنا العقلية، يُطرح الصليب الروحي من جلجثة القلب ويغطّى بقمامة الأهواء والشهوات. ثم ترتفع اللذة الذاتية الشهوانية كبرج فوق كامل سلامنا الداخلي، وكل ما فينا يسجد له ويتمم أوامره إلى أن تشرق علينا النعمة، وتُلهمنا لإسقاط الوثن ورفع صليب صَلْبِ الذات.

Source: St. Theophan the Recluse. The Spiritual Exaltation of the Cross. From: Letters on the Spiritual Life. Pravoslavie /OrthoChristian. 9/27/2012.
https://orthochristian.com/39363.html